



جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

إعداد

أ.د / محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب : ٢١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد ولد
آدم ، أول شافع وأول مشفع ، خاتم الأنبياء والمرسلين ،
سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة
إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد زكى الحق سبحانه وتعالى لسان نبينا (صلى الله عليه
وسلم) فقال : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ " ، وزكى فؤاده (صلى
الله عليه وسلم) فقال : " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ " ، وزكى
بصره (صلى الله عليه وسلم) فقال : " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ " ،
وزكى عقله (صلى الله عليه وسلم) فقال : " مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ
وَمَا غَوَىٰ " ، وزكى معلمه (صلى الله عليه وسلم) فقال : " عَلَّمَهُ
شَدِيدُ الْقُوَىٰ " ، وزكى خلقه (صلى الله عليه وسلم) فقال :
" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ " .

شرح ربه (عز وجل) صدره (صلى الله عليه وسلم) فقال :
" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " ، ورفع ذكره (صلى الله عليه وسلم)
فقال : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ " ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر فقال : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا " ، وزكاه كله فقال : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا " ، وأكرم أمته لأجله (صلى الله عليه وسلم) فقال : " وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ " ، وصلى ربه (عز وجل) وملائكته عليه فقال : " إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " .

أرسله ربه (عز وجل) رحمة للعالمين فقال : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " ، وأمرنا الحق سبحانه وتعالى باتباعه
(صلى الله عليه وسلم) فقال : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"، وخذرنا من مخالفة أمره (صلى الله عليه وسلم) فقال: " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " ، ونهانا أن نجعل دعاءه (صلى الله عليه وسلم) كدعاء بعضنا بعضاً فقال سبحانه: " لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " ، وربط إيماننا بالتسليم لحكمه (صلى الله عليه وسلم) فقال سبحانه: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " .

وجعل ربنا (عز وجل) طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من طاعته سبحانه ، ومعصيته (صلى الله عليه وسلم) من معصيته (عز وجل) فقال سبحانه: " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا " ، وقال سبحانه: " وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " ، وقال سبحانه: " وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا " .

ومن ثمّة لزّم التحلي بأعلى درجات الأدب مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومع سنته المطهرة وحرمة الشريف ، فحرّمته (صلى الله عليه وسلم) ميّتاً كحرّمته (صلى الله عليه وسلم) حيّاً .

والأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقتضي عدم ذكر اسمه (صلى الله عليه وسلم) مجرداً عما يليق به من الوصف بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة والسلام عليه ، سواء عند ذكره (صلى الله عليه وسلم) أو عند سماع اسمه (عليه الصلاة والسلام) أو كتابة اسمه المبارك (صلى الله عليه وسلم) ، بالعمّا بلغ عدد مرات الكتابة أو الذكر .

كما نوّكد وندين لله (عز وجل) بأن حب سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جزء لا يتجزأ من عقيدتنا، وأنه شرط من شروط صحة الإيمان ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " .

نسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا حبه سبحانه وتعالى ،
وحب رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وحب من يحب الله
ورسوله ، وأن يملأ حياتنا وقلوبنا بهذا الحب ، وأن يعمرهما
به ، وأن يرزقنا حسن الفهم لكتابه (عز وجل) وسنة نبيه (صلى
الله عليه وسلم) ، وألا يحرمننا شفاعة المصطفى (صلى الله
عليه وسلم) يوم القيامة ، وأن يسقينا عند الحوض بيده
الشريفة (صلى الله عليه وسلم) شربة هنيئة لا نظماً بعدها
أبدًا، وأن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ويرزقنا قول الحق
ما أحيانا ، وأن يرزقنا من الإخلاص ومكارم الأخلاق ما
يجعل من دعوتنا إليه سبحانه بالحال أكثر من دعوتنا
بالمقال ، وأن يتوفانا وهو راض عنا ، وأن يوفقنا لعمل صالح
يقبضنا عليه بحسن الخاتمة ، وأن يدخلنا الجنة بغير حساب
ولا سابقة عذاب ، وأن يرحم في الدنيا ضعفنا ، ويجبر كسرنا ،
ويستر عورتنا ، وأن يجعلنا فيها بكرمه وستره ، وألا يفضحنا
على رعوس الأَشهاد لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن يعاملنا

بكرمه لا بذنوبنا وتقصيرنا ، وأن يطهر نفوسنا من الشح ،
وقلوبنا من الهم والغم ، وأن يجعل حرمه سبحانه وحرم نبيه
(صلى الله عليه وسلم) عامرين آمنين إلى يوم القيامة ، وألا
يحرمننا شرف الصلاة فيهما قدر ما يعلم من تعلق النفس بحبه
وحب نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وألا يفتننا في أنفسنا ولا
بأنفسنا ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أو أدنى منها فضل
ونخزى ، إنه سبحانه واسع الفضل والكرم ، وصاحب العون
والمدد ، وولي النعم ، هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير .
والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،،
عليه توكلت وإليه أنيب

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

المبحث الأول

حديث القرآن عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

تحدث القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثاً كاشفاً عن مكانته وأخلاقه وكثير من جوانب حياته ، فهو نبي الرحمة ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (١) ، ويقول سبحانه : " فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (٢) ، ويقول (عز وجل) : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

(١) الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" (١)، ويقول سبحانه :
"وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ
لَعَنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" (٢) .

وقرأ (صلى الله عليه وسلم) قول الله (عز وجل) في
إبراهيم : "رَبِّ انَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ
مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (٣)، وقول الله (عز وجل)
على لسان عيسى (عليه السلام) : " إِنْ تُعَدِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (٤)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ:
اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، وَبَكَى ، فَقَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : يَا جِبْرِيلُ !

(١) التوبة : ١٢٨ .

(٢) الحجرات : ٧ .

(٣) إبراهيم : ٣٦ .

(٤) المائدة : ١١٨ .

اَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ ، فَآتَاهُ
جِبْرِيْلُ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَسَأَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيْلُ
اَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَرَّضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا
نَسُوْعُكَ" (١) .

لقد زكى الله (عز وجل) لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم)،
فقال سبحانه : "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى" (٢)، وزكى فؤاده ،
فقال : " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" (٣)، وزكى معلمه ، فقال :

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه
وسلم) لِأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ ، حديث رقم ٥٢٠ ، وصحيح ابن
حبان ، كتاب إخباره (صلى الله عليه وسلم) عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ
(رضي الله عنهم أجمعين) ، ذَكَرُ مَعْفِرَةَ اللَّهِ (جَلَّ وَعَلَا) ذُنُوبَ عَائِشَةَ
مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، حديث رقم ٧١١١ .

(٢) النجم : ٣ .

(٣) النجم : ١١ .

"عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى"^(١) ، وزكى خلقه ، فقال : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"^(٢) ، وشرح صدره ، فقال : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ"^(٣) ، ورفع ذكره ، فقال : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"^(٤) ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال سبحانه : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ"^(٥) .

وقد أكرمه ربه حتى في مخاطبته وندائه ، فحيث نادى رب العزة (سبحانه وتعالى) سائر الأنبياء بأسمائهم : " يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"^(٦) ، " يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا

(١) النجم : ٥ .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) الشرح : ١ .

(٤) الشرح : ٤ .

(٥) الفتح : ١ ، ٢ .

(٦) البقرة: ٣٥ ، والأعراف: ١٣ .

وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ"^(١)، "يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ
صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"^(٢)، "يَا دَاوُدُ إِنَّا
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ"^(٣)، "يَا
زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ"^(٤)، "يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ
بِقُوَّةٍ"^(٥)، "يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طَوًى"^(٦)، "يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ
وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ"^(٧)، خاطب نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطاباً
مقروناً بشرف الرسالة أو النبوة ، أو صفة إكرام وتفضل

(١) هود : ٤٨ .

(٢) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٣) ص : ٢٦ .

(٤) مريم : ٧ .

(٥) مريم : ١٢ .

(٦) طه : ١٢ .

(٧) المائدة : ١١٠ .

وملاطفة ، فقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ"^(١) ، " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا"^(٢) ، " يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا "^(٣) ، " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ "^(٤) ، وعندما شرفه الحق (سبحانه وتعالى) بذكر اسمه في القرآن الكريم ذكره مقرونًا بعز الرسالة ، فقال سبحانه وتعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "^(٥) ، وقال سبحانه وتعالى : " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ "^(٦) ، وقال (عز وجل) : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) الأحزاب : ٤٥ .

(٣) المزمل : ١ ، ٢ .

(٤) المدثر : ١-٣ .

(٥) الفتح : ٢٩ .

(٦) آل عمران : ١٤٤ .

النَّبِيِّينَ" (١) ، وأخذ العهد على الأنبياء والرسل ليؤمنن به
ولينصرنه ، فقال سبحانه : "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا
آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" (٢).

وقرن الحق سبحانه وتعالى طاعته (صلى الله عليه وسلم)
بطاعته، فقال سبحانه: " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" (٣)،
وقال سبحانه: " وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" (٤)، وجعل حبه (صلى الله عليه وسلم)
وسيلة لحب الله (عز وجل) ، فقال سبحانه : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) آل عمران : ٨١ .

(٣) النساء : ٨٠ .

(٤) النساء : ٦٩ .

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(١)، وجعل بيعته (صلى الله عليه وسلم) بيعة الله
 (عز وجل)، فقال سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
 اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"^(٢)، وكان سيدنا عبد الله بن عباس
 (رضي الله عنهما) يقول: ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثِ آيَاتٍ
 لَا تُقْبَلُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا بَعْدَ قَرِينَتِهَا ، أَوْلَاهَا: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
 الزَّكَاةَ"^(٣)، وَالثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: "أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ"^(٤)،
 وَالثَّلَاثُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"^(٥)، فَمَنْ
 أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يُطِعِ الرَّسُولَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ"^(٦).

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) الفتح : ١٠ .

(٣) البقرة : ٤٣ .

(٤) لقمان : ١٤ .

(٥) النساء : ٥٩ .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي، الخامس والخمسون من شعب الإيمان باب
 في بر الوالدين، حديث رقم ٧٨٣٠، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

وقد حذر الحق سبحانه وتعالى من مخالفة أمره (صلى الله عليه وسلم) فقال (عز وجل) : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (١)، مؤكداً أن الإيمان به (صلى الله عليه وسلم) لا يكتمل إلا بالنزول على حكمه عن رضى وطيب نفس ، فقال سبحانه : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " (٢)، ونهى عن رفع الصوت عنده فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ " (٣)، وقد سمع

(١) النور : ٦٣ .

(٢) النساء : ٦٥ .

(٣) الحجرات : ٢ ، ٣ .

الإمام مالك (رحمه الله) رجلا يرفع صوته في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا هذا إن الله (عز وجل) قد ذم أقوامًا فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ " (١)، وامتدح أقوامًا فقال : " إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ " (٢)، وإن حرمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتًا كحرمة حيًّا ، فتأدب في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن إكرام الله (عز وجل) له (صلى الله عليه وسلم) أن جعل رسالته للناس عامة ، حيث كان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة ، أما حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد أرسله ربه (عز وجل) إلى الناس عامة ، فقال سبحانه : " وَمَا

(١) الحجرات : ٢ .

(٢) الحجرات : ٣ .

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"^(١)، وختم برسالته
الرسالات ، وختم به (صلى الله عليه وسلم) الأنبياء والرسل ،
فقال سبحانه وتعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " ^(٢) .

صلى ربه (عز وجل) بنفسه عليه ، وأمر ملائكته والمؤمنين
بالصلاة عليه ، فقال سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ^(٣) ،
وجعل صلاته على المؤمنين رحمة وسكينة لهم ، فقال
سبحانه : " وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ " ^(٤) .

فعلينا بالإكثار من الصلاة والسلام على الحبيب (صلى الله

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) الأحزاب : ٤٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٦ .

(٤) التوبة : ١٠٣ .

عليه وسلم)؛ لأن من صَلَّى على النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، كما أن صلاتنا معروضة عليه (صلى الله عليه وسلم) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول :
"إِذَا سَمِعْتُمُ الدُّعَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" (١).

* * *

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم . صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُنَادِيَ ، حديث رقم ٦١١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهُ لَهُ الْوَسِيلَةَ ، حديث رقم ٨٧٥ .

المبحث الثاني حجية السنة المشرفة ومكانتها في التشريع

عندما نتحدث عن السنة النبوية المشرفة إنما نتحدث عن المصدر الثاني للتشريع ، فقد أجمع علماء الأمة وفقهاؤها وأصوليوها على حجية السنة النبوية، وأن طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من طاعة الله (عز وجل)، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " (١)، ويقول سبحانه : " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (٢).

ويقول سبحانه : " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ

(١) النساء: ٥٩ .

(٢) آل عمران: ١٣٢ .

اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"^(١)، ويقول سبحانه: " وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ"^(٢)، ويقول سبحانه: " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ"^(٣)، ويقول سبحانه: " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "^(٤).

ويقول سبحانه: " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ
تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا "^(٥)، ويقول سبحانه: " وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ

(١) آل عمران: ٣٢ .

(٢) الأنفال: ٤٦ .

(٣) المائدة: ٩٢ .

(٤) النور: ٥٤ .

(٥) النساء: ٨٠ .

النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَليْمًا" (١) ، ويقول سبحانه : "وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (٢) ، ويقول سبحانه : " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (٣) ، ويقول سبحانه : "وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدُّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا" (٤) ، ويقول سبحانه : " إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ

(١) النساء : ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) الأحزاب : ٧١ .

(٣) النساء : ١٣ .

(٤) الفتح : ١٧ .

وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (١) ، ويقول سبحانه: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" (٢) ، ويقول سبحانه : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (٣).

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة النزول على حكم النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته ، وعلى مقتضى سنته الشريفة في حياته وبعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (٤).

(١) النور : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) النساء : ٦٤ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) النساء : ٦٥ .

ويقول سبحانه : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا" (١) .

وقد نهى الحق سبحانه وتعالى وحذر من مخالفة أمر
النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال سبحانه : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (٢)،
ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ" (٣) ، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ
* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ
الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) محمد : ٣٣ .

فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ " (١).
ويقول سبحانه: " وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
كَبِيرًا " (٢)، ويقول سبحانه: " وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ
حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ " (٣)، ويقول
سبحانه: " وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
فِيهَا أَبَدًا " (٤).

وبين لنا الحق سبحانه وتعالى أن كل توجيه يصدر عن
النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هو وحي يوحى ، حيث
يقول سبحانه: " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " (٥)،

(١) الأنفال: ٢٠-٢٣ .

(٢) الأحزاب: ٣٦ .

(٣) النساء: ١٤ .

(٤) الجن: ٢٣ .

(٥) النجم: ١-٤ .

وأنه (صلى الله عليه وسلم) إنما يدعوننا لما يحيينا ، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (١).

وقد جعل الحق سبحانه طاعة رسول الله واتباع سنته (صلى الله عليه وسلم) سبباً لمرضاته (عز وجل) وحبه ، وباباً لمغفرة الذنوب ، فقال سبحانه : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (٢).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَيَّ أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمَاهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ
اللَّهُ"^(١) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَسْأَلُهُمْ وَاخْتَلَفَهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ،
فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ
مَا اسْتَطَعْتُمْ"^(٢) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كُلُّ
أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ، قِيلَ : وَمَنْ يَا بَنِي رَسُولِ
اللَّهِ ؟ قَالَ : "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ
أَبَى"^(٣) .

وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى
الله عليه وسلم) قال : " تركتُ فيكم أيُّها الناس ما إن

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم ، باب مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ
النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٢٦٦٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَابُ الْإِقْتِدَاءِ
بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٧٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق ، حديث رقم ٧٢٨٠ .

اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ " (١) ،
وعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله
عليه وسلم) قال : " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ،
وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ،
تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ،
فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " (٢) ، ويقول (صلى
الله عليه وسلم) : " فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (٣) ،

(١) المستدرک للحاکم ، کتاب العلم ، حدیث رقم ٣١٨ .

(٢) سنن أبي داود ، کتاب السنة ، باب فی لزوم السنّة ، حدیث رقم
٤٦٠٧ .

(٣) متفق عليه ، صحیح البخاری ، کتاب النکاح ، باب الترغیب فی
النکاح ، حدیث رقم ٥٠٦٣ ، وصحیح مسلم ، کتاب النکاح ، باب
استحباب النکاح لمن تآقت نفسه إليه ، وَوَجَدَ مَوْنَهُ ، حدیث رقم
١٤٠١ .

ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،
وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ" (١).

ونقل ابن رجب الحنبلي (٢) عن الإمام أحمد بن حنبل (٣)

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى
{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ، حديث رقم
٧١٣٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأُمراء
في غير معصية ، وتحریمها في المعصية ، حديث رقم ١٨٣٥ .

(٢) هو : أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب
السلامي البغدادي ، المعروف بابن رجب الحنبلي ، ولد في بغداد
٧٣٦هـ ، حافظ للحديث ، بلغ درجة الإمامة في فنونه ، من أعلام
المذهب الحنبلي ، من أهم مؤلفاته : جامع العلوم والحكم ،
ولطائف المعارف ، توفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ . (الأعلام للزركلي
٢٩٥/٣ ، نشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م).

(٣) هو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي ،
وُلِدَ في بغداد سنة ١٦٤هـ ، رابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة
والجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي ، توفي
سنة ٢٤١هـ . (سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ١١ / ١٧٧ ، =

(رحمه الله) أنه قال: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ :
حَدِيثُ عُمَرَ : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ (رَضِيَ
الله عنها): "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" ،
وَحَدِيثُ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ : "الْحَلَالُ بَيْنُ وَالْحَرَامُ بَيْنُ" (١).
وعن أبي داود السجستاني (٢) أنه قال : الْفِقْهُ يَدُورُ عَلَى
خَمْسَةِ أَحَادِيثَ : "الْحَلَالُ بَيْنُ وَالْحَرَامُ بَيْنُ" ، وَقَوْلُهُ (صَلَّى
الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " ، وَقَوْلُهُ : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ

= تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط،
نشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٦١/١ ، ط: دار المعرفة ،
بيروت.

(٢) هو الإمام أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير
الأزدي السجستاني ، إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من
سجستان ، صاحب كتاب السنن وهو أحد الكتب الستة ، توفي
بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ (سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣) ط الرسالة ،
والأعلام للزركلي ١٢٢/٣).

بِالنَّبَاتِ"، وَقَوْلِهِ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، وَقَوْلِهِ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"^(١).

ولا يجادل في مكانة السنة النبوية المشرفة وحبيتها وعظيم منزلتها إلا جاحد أو معاند لا يعتد بقوله، فقد أجمع أهل العلم على أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع، ومن ثمة كانت العناية الفائقة بها، حفظاً، وروايةً، وتدويناً، وتخريجاً، وشرحاً، واستنباطاً للأحكام، غير أن وقوف بعض قاصري الفهم عند ظواهر النصوص دون فهم مقاصدها قد أدى إلى الجمود والانغلاق في كثير من القضايا، وهو ما يجعل الحديث عن الفهم المقاصدي للسنة النبوية أمراً ضرورياً وملحاً لكسر دوائر الجمود والانغلاق والتحجر الفكري.

ولا شك أن السنة جاءت شارحة ومبينة ومتممة للقرآن الكريم، يقول الحق سبحانه وتعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص ٦٢.

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"^(١)، ويقول سبحانه : " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا "^(٢)، ويقول سبحانه: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "^(٣)، ويقول سبحانه : " وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "^(٤)، وقال (عز وجل) : " وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا "^(٥).

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) النساء : ١١٣ .

(٣) الجمعة : ٢ .

(٤) البقرة : ٢٣١ .

(٥) الأحزاب : ٣٤ .

فقد ذكر الحسن البصري^(١) والإمام الشافعي^(٢) (رحمهما الله) وغيرهما من أهل العلم وكثير من المفسرين أن الحكمة هنا هي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٣). وقد تحدث العلماء والفقهاء والأصوليون عن حجية السنة حديثًا مستفيضًا ، يقول الإمام الشافعي (رحمه الله) : وضع الله (عز وجل) رسوله (صلى الله عليه وسلم) من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان - جل ثناؤه - أنه جعله علمًا لدينه بما افترض من طاعته ، وحرّم من معصيته ، وأبان

(١) هو: الحسن بن يسار البصري ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، مات سنة ١١٠ هـ . (الأعلام للزركلي ٢/٢٢٦).
(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي ، ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي ومؤسس علم أصول الفقه ، ولد (رحمه الله) بغزة عام ١٥٠ هـ، ومن أهم مؤلفاته: كتاب الأم، والرسالة ، وهو أول كتاب صنف في علم أصول الفقه، توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ . (الأعلام للزركلي ٦/٢٦).
(٣) راجع في ذلك: تفسير الطبري وابن كثير وغيرهما للآية (١٢٩) من سورة البقرة.

من فضيلته بما قرن بالإيمان برسوله (صلى الله عليه وسلم) مع الإيمان به ، فقال تبارك وتعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" (١) ، فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ورسوله ، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً حتى يؤمن برسوله معه (٢) .

ويقول (رحمه الله) : لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا نَسَبَهُ النَّاسُ أَوْ نَسَبَ نَفْسَهُ إِلَى عِلْمٍ يُخَالِفُ فِي أَنْ فَرَضَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) اتِّبَاعَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالتَّسْلِيمَ لِحُكْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ إِلَّا اتِّبَاعَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ قَوْلَ بَعْضِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلا بَكْتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(١) الحجرات : ١٥ .

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ، تحقيق: الشيخ / أحمد شاکر ، ٧٥/١ ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت .

وأن ما سواهما تبع لهما ، وأن فرض الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واحد^(١) .

ويقول ابن حزم^(٢) (رحمه الله) : في أيِّ قرآنٍ وُجد أن الظهر أربع ركعات ، وأن المغرب ثلاث ركعات ، وأن الركوع على صفة كذا ، والسجود على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها والسلام ، وبيان ما يُجْتَنَّب في الصوم ، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة ، والغنم والإبل والبقر ، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان

(١) الأم للشافعي ، كِتَابُ جَمَاعِ الْعِلْمِ ٧ / ٢٨٧ ، ط: دار المعرفة، بيروت.
(٢) هو : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، من أكبر علماء الأندلس ، من أهم مؤلفاته : المحلى ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الإحكام في أصول الأحكام ، طوق الحمامة ، توفي سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م. (الأعلام للزركلي ٤ / ٢٥٤).

أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة ، وصفة الصلاة بها
وبمزدلفة ، ورمي الجمار ، وصفة الإحرام ، وما يُجْتَنَّب فيه ،
وقطع السارق ، وصفة الرِّضَاع المحرم ، وما يحرم من
المآكل، وَصِفَتَا الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود ، وصفة
وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا ، والأقضية
والتداعي ، والأيمان ، والأحباس ، والعُمَرَى ، والصدقات
وسائر أنواع الفقه؟ وإنما في القرآن جُمَل لو تُركنا وإياها لم
نَدْر كيف نعمل بها؟ وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقلُ
عن النبي (صلى الله عليه وسلم)^(١) .

ويقول الشوكاني^(٢) (رحمه الله) : اعلم أنه قد اتفق من يعتد

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ٢ / ٧٩ ، دار
الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من
كبار علماء اليمن، من أهم مؤلفاته : نيل الأوطار ، وفتح القدير،
توفي بصنعاء ١٧٥٩ هـ - ١٨٣٤ م (الأعلام للزركلي ٦ / ٢٩٨).

به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وقد ثبت عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"^(١) أي : أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن ، وذلك كتحریم لحوم الحمر الأهلية ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر^(٢) .
ويقول : والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظَّ له في دين الإسلام^(٣) .

(١) مسند أحمد ، ٢٨ / ٤١٠ ، حديث رقم ١٧١٧٤ .

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ٩٦/١ ،

ط : دار الكتاب العربي .

(٣) إرشاد الفحول ٩٦/١ .

ويقول الألووسي^(١) (رحمه الله): " أَطِيعُوا اللَّهَ " أي: الزموا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه " وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ " المبعوث لتبليغ أحكامه إليكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أيضًا ، وأعاد الفعل - وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى - اعتناء بشأنه (عليه الصلاة والسلام) وقطعًا لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن ، وإيدانًا بأن له (صلى الله عليه وسلم) استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره^(٢) .
ويقول الأستاذ / عبد الوهاب خلاف^(٣) (رحمه الله): السنة

(١) هو: محمود شهاب الدين الألووسي ، نسبة إلى مدينة ألووس وهي جزيرة في وسط نهر الفرات بمحافظة الأنبار، مفسر، ومحدث، وفقهه، وأديب، وشاعر، تقلد الإفتاء ببلده عام ١٢٤٨هـ ، ثم انقطع للعلم، من أهم مؤلفاته: تفسير روح المعاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م . (الأعلام للزركلي ، ١٧ / ١٧٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألووسي / ٥ / ٦٥ ، ط: دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) هو المحدث الأصولي ، الفقيه ، عضو مجمع اللغة العربية في ===

إما أن تكون سنة مفصلة ومفسرة لما جاء في القرآن مجملًا ،
أو مقيدة ما جاء فيه مطلقًا ، أو مخصصة ما جاء فيه عامًا ،
فيكون هذا التفسير أو التقييد أو التخصيص الذي وردت به
السنة تبيينا للمراد من الذي جاء في القرآن ؛ لأن الله
سبحانه منح رسوله حق التبيين لنصوص القرآن بقوله عز
وجل : "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"^(١) ،
ومن هذا : السنن التي فصلت إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،
وحج البيت ؛ لأن القرآن أمر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،

=== القاهرة ، ولد سنة ١٨٨٨ م ، صاحب المؤلفات الكثيرة خصوصًا
في علم أصول الفقه، عين قاضيًا بالمحاكم الشرعية سنة ١٩٢٠م ثم
نقل مديرًا للمساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٩٢٤م وبقي بها حتى
عين مفتشًا بالمحاكم الشرعية في منتصف سنة ١٩٣١م. انتدبته كلية
حقوق جامعة القاهرة مدرسا بها في أوائل سنة ١٩٣م، وبقي أستاذًا
للشريعة الإسلامية حتى أحالته إلى المعاش سنة ١٩٤٨م، توفي
١٣٧٥هـ (انظر ترجمته في مقدمة كتابه : علم أصول الفقه وخلاصة
تاريخ التشريع ، ص ٣) .

(١) النحل : ٤٤ .

وحج البيت ، ولم يفصل عدد ركعات الصلاة ، ولا مقادير الزكاة ، ولا مناسك الحج ، والسنن العملية والقولية هي التي بيّنت هذا الإجمال؟ وكذلك قوله تعالى: "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"^(١)، والسنة هي التي بيّنت صحيح البيع وفاسده، وأنواع الربا المحرم ، والله حرم الميتة ، والسنة هي التي بينت المراد منها ما عدا ميتة البحر وغير ذلك من السنن التي بينت المراد من مجمل القرآن الكريم ومطلقه وعامه ، وتعتبر مكملة له وملحقة به ^(٢) .

وتأسيساً على كل ما سبق من نصوص القرآن الكريم وسنة الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأقوال أهل العلم ، يتضح لنا إجماع أهل العلم على عظيم مكانة السنة النبوية ، وعلى حجيتها شارحة ومفسرة ومبينة ومتممة ، لا يجادل في

(١) البقرة : ٢٧٥ .

(٢) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خالف ، ص ٤٠ ، ط: مطبعة المدني بمصر .

ذلك إلا جاحد أو معاند ، أو شخص لا حظَّ له في العلم ، ولا
يعتد برأيه عند أهل الاعتبار والنظر .

* * *

المبحث الثالث رسول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم)

نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الإنسانية
ورسولها ، سواء من حيث كون رسالته جاءت رحمة
للعالمين، أم من حيث كونها للناس كافة ، حيث يقول الحق
سبحانه: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"^(١)، وحيث
يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى
قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"^(٢) ،
أم كان ذلك من جهة ما تضمنته الرسالة من جوانب الرحمة

(١) سبأ: ٢٨ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب منه رقم ١٣٩ ،
حديث رقم ٣٣٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب منه ،
حديث رقم ١١٩١ .

والإنسانية وتكريم الإنسان لكونه إنساناً بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو لغته ، حيث يقول الحق سبحانه : "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"^(١) ، أم من حيث مراعاته (صلى الله عليه وسلم) للأبعاد الإنسانية في جميع معاملاته وسائر تصرفاته. ويتجلى البعد الإنساني في حياة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معاملته لأصحابه وأزواجه وأحفاده والناس أجمعين ، فكان خير الناس لأهله ، وهو القائل عن أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) : " آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ"^(٢) ، وظل وفيّاً لها طوال حياتها حتى بعد وفاتها،

(١) الإسراء: ٧٠ .

(٢) مسند أحمد ، ٥٤ / ٢١٥ ، حديث رقم ٢٥٦٠٦ ، والمستدرک علی الصحیحین، کتاب الإیمان ، ذکر حدیث معمر ، حدیث رقم ٤٠ . وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، ووافقه الذهبي =

فكان يكرم صديقاتها ومن كن يأتيه على عهدها ، فقد جاءت
عجوز إلى بيته (صلى الله عليه وسلم) فقال لها : " مَنْ أَنْتِ ؟"
قَالَتْ : أَنَا جَثَامَةُ الْمُزْنِيَّةُ ، فَقَالَ : " بَلْ أَنْتِ حَسَانَةُ الْمُزْنِيَّةُ ،
كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا ؟" قَالَتْ : يَخِيرُ
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، تُقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْعَجُوزُ هَذَا الْإِقْبَالُ ؟ فَقَالَ : " إِنَّهَا
كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيْمَانِ " (١).

= وفي صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي
(صلى الله عليه وسلم) خَدِيجَةَ ، حديث رقم ٣٨١٨ ، ولفظه : عَنْ
عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ مَا غُرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ
(صلى الله عليه وسلم) مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ
النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ
يُقَطِّعُهَا أَغْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ . فَيَقُولُ : (إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ،
وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ) .

(١) المستدرک علی الصحیحین فی الموضوع السابق . وقد ترجم الإمام
البخاري بجزء من المتن لأحد أبواب صحيحه ، وذلك في كتاب =

وكان شديد الحب لأحفاده شديد الحفاوة والعناية بهم ،
فعن أبي بكرة قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى
النَّاسِ مَرَّةً ، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ : " إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ
اللَّهُ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (١) ، ولما
رآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن والحسين ، قَالَ : إِنَّ لِي
عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ : " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " وفي
رواية : " أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ " (٢) .

= الأدب ، باب حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم ٦٠٠٤ ، ولفظه:
عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : (مَا غُرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غُرْتُ عَلَى
خَدِيجَةَ ...) الحديث .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب قول النبي (صلى الله عليه
وسلم) للحسن بن علي (رضي الله عنهما) ابني هذا سيد ، حديث
رقم ٢٧٠٤ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رَحْمَةِ الْوَالِدِ ==

وكان (صلى الله عليه وسلم) أرحم الناس بالناس وبخاصة الأطفال والضعفاء، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَاتَّجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ"^(١) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " ... فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ"^(٢).

== وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٥٩٩٨ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ ، بَابُ رَحْمَتِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الصَّبِيَّانَ وَالْغِيَالَ وَتَوَاضَعَهُ وَفَضْلَ ذَلِكَ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٦١٦٩ .

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٧٠٧ . وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ أَمْرِ الْأُئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ١٠٨٣ ، وَلَفْظُهُ: قَالَ أَنَسٌ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمَّهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ) .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الْعَضْبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٩٠ ، وَصَحِيحُ ==

وها هو (صلى الله عليه وسلم) تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام) ، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) : وأنت يا رسول الله؟! فيقول (صلى الله عليه وسلم) : "يا ابن عوف إنها رحمة" ثم قال: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ"^(١).

وسجد (صلى الله عليه وسلم) يوماً فأطال السجود ، فلما قضى الصلاة ، قال الناس: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ

== مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أَمْرِ الْأُمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ ، حديث رقم ١٠٧٤ .

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ" ، حديث رقم ١٣٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رَحْمَتِهِ (صلى الله عليه وسلم) الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضَعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ ، حديث رقم ٦١٦٧ ، ولفظه: (تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ).

ظَهَرَ أَنِّي صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةٌ قَدْ أَطَلْتَهَا ، فَظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ
أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ، قَالَ : " فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ
أَبْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ " (١).

وعن أبي قتادة الأنصاري (رضي الله عنه) أن رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) " كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ
زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَإِذَا سَجَدَ
وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا " (٢).

وعندما كان (صلى الله عليه وسلم) يخطب على المنبر
وجد الحسن والحسين يتعثران فنزل من على المنبر
واستلمهما وقبلهما ، فعن عبد الله بن بريدة ، قَالَ : سَمِعْتُ

(١) سنن النسائي ، كتاب التطبيق ، باب هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ
أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ ، حديث رقم ١١٤١ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إِذَا حَمَلَ جَارِيَةً
صَغِيرَةً عَلَىٰ عُنُقِهِ فِي الصَّلَاةِ ، حديث رقم ٥١٦ . وصحيح مسلم ،
كتاب المساجد ، باب جَوَازِ حَمْلِ الصَّبِيَّانِ فِي الصَّلَاةِ ، حديث رقم
١٢٤٠ .

أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " صَدَقَ اللَّهُ : " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ " نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّيِّبِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا^(١) .

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عن سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) : " إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ "^(٢) ، وفي رواية أنه (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ،

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الإمام يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلْأَمْرِ يَحْدُثُ ، حديث رقم ١١٠٩ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، حديث رقم ٣٧٧٤ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِ فِي الْمَسْجِدِ ، حديث رقم ٤٦٦ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) ، حديث رقم ٣٦٦٠ .

وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي" (١) ، وكان يقول عن سيدنا سلمان الفارسي : " سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ" (٢) ، ولما عاد سيدنا جعفر بن أبي طالب من فتح خيبر ، قبله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين عينيه والتزمه ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ ، يَفْتَحُ خَيْبَرَ أَمْ يَقْدُومُ جَعْفَرٌ؟" (٣).

وعلمنا (صلى الله عليه وسلم) الجود الإنساني والذوق الراقى في آن واحد فقال (صلى الله عليه وسلم): " لَا تَحْقِرَنَّ

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لو كنت متخذاً خليلاً ، حديث رقم ٣٦٦١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٦ / ٢١٢ ، حديث رقم ٦٠٤٠ ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب معرفة الصحابة (رضي الله عنهم) ، ذكر سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ، حديث رقم ٦٥٣٩.

(٣) المستدرک على الصحيحين ، من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة ، حديث رقم ٤٢٤٩ .

مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ يَوْجَهُ طَلَّقِ" (١) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " ... لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا ، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ " (٢) ، سواء من جهة المعطية المنفقة التي لا ينبغي أن تستحي من قلة ما تملك فتحجم عن العطاء ، فرب درهم سبق ألف درهم ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا يَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرِيْبُهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيْبُ أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ " (٣) ، أم كان ذلك من جهة الآخذة

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب اسْتِحْبَابِ طَلَاقِ الْوَجْهِ عِنْدَ الْفَقَاءِ ، حديث رقم ٦٨٥٧ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب منه ، حديث رقم ٢٥٦٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ وَلَا تُمْتَنَعُ مِنَ الْقَلِيلِ لِإِحْتِقَارِهِ ، حديث رقم ٢٤٢٦ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ ، حديث رقم ١٤١٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَّتِهَا ، حديث رقم ٢٣٨٩ .

أو الآخذ ، إذ لا ينبغي أن نُخرج المعطي أو المهدي وإن كان ما يهديه قليلاً ، بل علينا أن نشكر له صنيعه وإن كان يسيراً ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ " ^(١) ، وهو ما أكده سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) في حديثه عن الوصايا العشر في سورة الأنعام .

ومن هنا فإن إعلاءنا للقيم الإنسانية ليس أمراً ثانوياً أو مجرد أمر إنساني ، إنما هو عقيدة وشريعة ودين ندين به لله (عز وجل) ، فبدل أن تتناحر الأمم والشعوب وتتقاتل ويعمل بعضهم على إفناء أو إضعاف أو إنهاك أو تفتيت بعض ، فليتعاون الجميع لصالح البشرية جمعاء ، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، حديث رقم ٢٠٨٢ .

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"^(١) ، ولو أن البشرية أنفقت على معالجة قضايا الجوع والفقر والمرض والتنمية معشار ما تنفق على القتال والحروب والتخريب والتدمير ، لتحول حال البشرية إلى ما يصلح شؤون دينها ودنياها .

* * *

(١) الحجرات : ١٣ .

المبحث الرابع حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جزء لا يتجزأ من الإيمان

حبُّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جزء لا يتجزأ من الإيمان ؛ يقول سيدنا عبد الله بن هشام (رضي الله عنه): "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : الْآنَ يَا عُمَرُ" ⁽¹⁾، أي الآن كمل إيمانك وتم.

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان والندور ، باب كيف كانت يمينُ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٦٦٣٢ .

ويقول (صلى الله عليه وسلم): " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ " (١) ، وجاء رجل يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فقال له (صلى الله عليه وسلم): " وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟" فقال الرجل: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ " (٢).

-
- (١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ ، حديث رقم ١٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ خِصَالِ مَنْ انْتَصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم ١٧٤ .
- (٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ (رضي الله عنه) ، حديث رقم ٣٦٨٨ . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، حديث رقم ٦٨٧٨ .

وينسب للإمام الشافعي (رحمه الله) أنه كان يقول^(١):
أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلِّي أَنْ أَنْالَ بِهِمْ شَفَاعَةَ
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي
وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ
فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حُبُّ الصَّالِحِينَ ، فما بالكم بحب سيد
المرسلين وخير خلق الله أجمعين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) !؟
ثم كيف لا نحبه (صلى الله عليه وسلم) ، ونذوب في حبه ،

(١) نسبهم الحافظ المناوي للإمام الشافعي . فيض القدير شرح الجامع
الصغير لعبد الرؤوف المناوي ، ط: المكتبة التجارية الكبرى ، ٣ /
٣٤٨ هـ . وقال أبو نعيم : حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
عُبَيْدِ اللَّهِ ، ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ يُوسُفَ الشَّكَلِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أُمِيَّةَ
الْأَسْوَدَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ .. فنسبه لعبد الله بن
المُبَارَكِ . (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد
الله الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ) ١٧٠/٨ ، ط: دار الكتاب العربي،
بيروت .

وهو الذي أخرجنا الله (عز وجل) به من الظلمات إلى النور،
وهدانا به إلى صراطه المستقيم ، وهو الذي رفع الله (عز
وجل) ذكره ، وشرح صدره ، وزكّى خلقه ، وجعله خير شافع
وخير مشفع ، وهو الذي يصلي عليه رب العزة (عز وجل)
ويأمرنا بدوام الصلاة والسلام عليه، فيقول سبحانه : "إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"^(١) ، ويقول سبحانه على لسانه (صلى الله عليه
وسلم): " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(٢) ، ويقول سبحانه: "وَلَوْ
أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا"^(٣) ، ويقول : (صلى الله
عليه وسلم): " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ

(١) الأحزاب : ٥٩ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

(٣) النساء : ٦٤ .

صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا،
ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْعِي إِلَّا
لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي
الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" (١).

ويقول سيدنا حسان بن ثابت (٢):

وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ

إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنِ أَشْهَدُ

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدَّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث رقم ٣٨٤. وسنن أبي داود: كتاب الصلاة / باب ما يقول إذا سمع المؤذن، حديث رقم ٥٢٣. وصحيح ابن حبان: كتاب الصلاة، باب الأذان، ذكر إيجاب الشفاعة في القيامة لمن سأل الله جل وعلا لنبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الوسيلة في الجنان عند الأذان يسمعه، حديث رقم ١٦٩٠.

(٢) البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ٦ / ٣١٧، ط: مكتبة المعارف، بيروت.

وشقّ له من اسمه ليُجله

فدو العرش محمود ، وهذا محمد

ونؤكد على أمرين : الأول : أن العلماء وشراح الحديث

قد نظر بعضهم إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يُؤْمِنُ

أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ " ^(١) على أنه شرط من شروط كمال الإيمان ، أي لا

يكمل إيمان المرء إلا به ، ونظر بعضهم إليه على أنه شرط

من شروط صحة الإيمان لا يصح إيمان المرء إلا به ، وهو ما

يترجح عندنا ، إذ كيف نسلم بصحة الإيمان لشخص لا يحب

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول

(صلى الله عليه وسلم) من الإيمان ، حديث رقم ١٥ ، وصحيح

مسلم، كتاب الإيمان ، بابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٩٢ . وسنن النسائي ، كتاب الإيمان ، باب

علامة الإيمان ، حديث رقم ٥٠٢٩ . وسنن ابن ماجه ، " المقدمة " ،

باب في الإيمان ، حديث رقم ٦٧ .

سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟!.

الآخر : أن الحب لا يمكن أن يكون مجرد كلام ، إنما هو حسن اقتداء ، وحسن اتباع ، وتخلق بأخلاق الحبيب (صلى الله عليه وسلم) واقتداء بهديه ، يقول الإمام الشافعي (رحمه الله)^(١) :

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ

هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَعْتَهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

إن من يحب رسول الله لا يمكن أن يكون كذاباً ، ولا غشاشاً ، ولا خائئاً ، ولا جشعاً ، ولا متكبراً ، ولا سبباً ، ولا مبتدعاً ، بل يكون كما قالت عائشة (رضي الله عنها) عن

(١) ديوان الشافعي ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ٩١ ،

ط: مكتبة الكليات الأزهرية .

الحبيب (صلى الله عليه وسلم): كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ (١)، وكان
(صلى الله عليه وسلم) قرآنا يمشي على الأرض، أو كما قالت
السيدة خديجة (رضي الله عنها): ".. كَلَا وَاللَّهِ مَا يُخْرِيكَ اللَّهُ
أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ،
وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ .." (٢).

* * *

(١) مسند أحمد، ١٤٨/٤١، حديث رقم ٢٤٦٠١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ
بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم ٣،
وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
(صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم ٤٢٢.

المبحث الخامس التأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
يقتضي أموراً كثيرة ، منها :

١- عدم ذكر اسمه (صلى الله عليه وسلم) مجرداً عما يليق به من الوصف بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة والسلام عليه، سواء عند ذكره (صلى الله عليه وسلم) أو عند سماع اسمه (عليه الصلاة والسلام) أو كتابة اسمه المبارك (صلى الله عليه وسلم)، بالغاً ما بلغ عدد مرات الكتابة أو الذكر ، فذلك من أخص علامات حب سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا ما يعلمنا إياه القرآن الكريم ؛ حيث جاء الخطاب الإلهي له (صلى الله عليه وسلم) مقروناً بشرف الرسالة أو النبوة ، أو صفة إكرام وتفضل وملاطفة على نحو قوله تعالى :

"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" (١) ،
وقوله سبحانه : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ" (٢) ، وقوله (عز وجل) : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا" (٣) ، وقوله جل شأنه : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ" (٤) .

٢- الإكثار من الصلاة والسلام عليه (صلى الله عليه وسلم)
حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (٥) .
يقول ابن كثير (رحمه الله) : وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ :
أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَحْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ

(١) المائدة : ٤١ .

(٢) الأنفال : ٦٤ .

(٣) الأحزاب : ٤٥ .

(٤) الأحزاب : ٥٠ .

(٥) الأحزاب : ٥٦ .

الْأَعْلَى ، بِأَنَّهُ يُنْبِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ
تُصَلِّي عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ
وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ، لِيَجْتَمَعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلُويِّ
وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا ^(١) .

وقد أتى رجل إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال :
سمعت الله (عز وجل) يقول : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ ... " الآية ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : " قل : اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ " ^(٢) .

(١) تفسير ابن كثير ، سورة الأحزاب ٣ / ٥٥٥ ، ط: دار الفكر . بيروت .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الأحزاب ، باب قوله
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، حديث رقم ٤٥١٩ .

ومن لزوم الأدب معه (صلى الله عليه وسلم) عدم اختصار صيغة الصلاة والسلام عليه (صلى الله عليه وسلم) عند الكتابة إلى (ص) أو (صلعم) ، إذ ينبغي لنا كتابتها كاملة ؛ حتى لا يحرم كاتبها من ثوابها الوفير وفضائلها العظيمة ^(١) .

٣- عدم التعامل معه (صلى الله عليه وسلم) كما يتعامل بعضنا مع بعض ؛ حيث يقول الحق سبحانه : " لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " ^(٢) ، وهو ما يقتضي أيضاً ألا نتعامل مع سنته كما نتعامل مع كلام بعضنا البعض ، وهو ما أكد عليه كبار الفقهاء والعلماء ؛ حيث يقول الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) : "إذا قلتُ قولاً يخالف كتابَ الله تعالى ، وخبرَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فاتركوا قولِي " ^(٣) .

(١) انظر : المبحث السادس : من فضائل الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ص ٧١ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) إيقاظ همم أولي الأبصار للعلامة الفلاني ، ص ٩٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ويقول الإمام مالك (رحمه الله) : " ليس أحد بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم"^(١) ، ويقول أيضًا : " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^(٢).

ويقول الإمام الشافعي (رحمه الله) : " ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعزب عنه ، فمهما قلتُ من قول أو أصلت من أصل ، فيه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو قولِي "^(٣) ، ويقول -

(١) المجموع ، للنووي ١/ ١٧٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، القاضي عياض ١/ ٧٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٣) إعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد عبد السلام إبراهيم ٢/ ٢٠٤ ، ط : ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

أيضًا - : " إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقولوا بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ودعوا ما قلت " (١).

ويقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) : " لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ، ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا " (٢).

٤- التزام أقصى درجات الأدب والوقار في مسجده (صلى الله عليه وسلم) ولا شك أن حرمة جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتا كحرمة جواره حيًا ، وقد سمع الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنهما) رجلا يرفع صوته في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا هذا الزم الأدب في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإن الله (عز وجل) قد مدح أقوامًا فقال : " إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ

(١) إعلام الموقعين : ٢ / ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١٣٩ .

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلِيكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"^(١)، وذم أقوامًا فقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ"^(٢)،
وإن حرمة رسول الله ميتًا كحرمة حيًّا .

* * *

(١) الحجرات : ٣ .

(٢) الحجرات : ٢ .

المبحث السادس
من فضائل الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله
(صلى الله عليه وسلم)

للصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضائل عظيمة ومِنَح جليلة ، منها :

١- يُبَلُّ رَحْمَةَ اللَّهِ (عز وجل) وعميم فضله بكثرة الصَّلَاة والسلام على نبيِّنا (صلى الله عليه وسلم) : فإذا كانت الصلاة من الله تعني الرحمة ، فإنه (صلى الله عليه وسلم) قال: "... من صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا.." (١)، وقال أيضًا : "من ذَكَرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ ، وَمَنْ صَلَّى

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم ، صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُتَأَدِّي ، حديث رقم ٦١١ . وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهُ لَهُ الْوَسِيلَةَ ، حديث رقم ٨٢٥ .

عليّ مرةً صَلَّى اللهُ عليه عشرًا" (١).

٢- استغفارُ الملائكة : حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) :
" ما مِنْ مُسْلِمٍ يَصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّيَ
عَلَيَّ فَلْيُقَلِّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ" (٢).

٣- نيل شفاعته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ

(١) السنن الكبرى للنسائي ، باب في الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٩٨٨٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَيَّ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٩١٠ .

الشَّفَاعَةُ" (١) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة" (٢) .

٤- رفع الدرجات وخطّ الخطايا والسيئات : يقول (صلى الله عليه وسلم) : "من صَلَّى عليّ صلاةً واحدةً صَلَّى اللَّهُ عليه عشرَ صلواتٍ ، وحُطَّتْ عنه عشرُ خطيئاتٍ ، ورُفِعَتْ له عشرُ درجاتٍ" (٣) ، وعن أبي طلحة الأنصاريّ (رضي الله عنه) قال: أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً طيّب النفس يرى في وجهه البشر . قالوا : يا رسول الله : أصبحت اليوم طيّب النفس يرى في وجهك البشر ، قال :

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، بابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ ، حديث رقم ٣٨٤ .

(٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْوَثْرِ ، باب ماجاء في فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) حديث رقم ٤٨٤ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ، كتاب السهو ، بابُ الْفَضْلِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ١٢٩٧ .

"أجل ، أتاني آت من عند ربِّي (عزّ وجلّ) ، فقال : من صلّى عليك من أمّتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردّ عليه مثلها" (١) .

٥- كفاية الهموم ومغفرة الذنوب : فعن أبي بن كعب (رضي الله عنه) أنه قال : يا رسول الله إنّي أُكثِرُ الصلاةَ عليكَ فكم أجعلُ لكَ من صلاتي ؟ فقال : " ما شئتَ " ، قال : قلتُ الربعَ ، قال : " ما شئتَ فإنّ زدتَ فهو خيرٌ لكَ " ، قلتُ : النصفَ ، قال : " ما شئتَ فإنّ زدتَ فهو خيرٌ لكَ " ، قال : قلتُ فالثلثينِ ، قال : " ما شئتَ فإنّ زدتَ فهو خيرٌ لكَ " ، قلتُ : أجعلُ لكَ صلاتي كلّها ؟ ، قال : " إذا تُكفّيتُ

(١) سنن الدارمي ، كتاب الرقاق ، باب فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٢٧٧٣ ، ومسند أحمد ٢٦ / ٢٧٢ ، حديث رقم ١٦٣٥٢ .

هَمَّكَ وَيَغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ" (١).

٦- تشریف المصلِّي على النبي (صلى الله عليه وسلم) بإبلاغ سلامه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وردَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه السلام ؛ حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَبْلُغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ" (٢) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ" (٣) ، وعن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي ،

(١) سنن الترمذي ، جماع أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه ، حديث رقم ٢٤٥٧ .

(٢) صحيح ابن حبان ، كِتَابُ الرَّقَائِقِ ، بَابُ الْأُدْعِيَةِ ، حديث رقم ٩١٤ .

(٣) مسند أحمد ، مُسْنَدُ الْمَدَنِيِّينَ ، حَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ٨ / ٣٤ ، حديث رقم ١٦١٠٣ .

فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فُلَانَ بَنَ فُلَانَ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ"^(١).

على أن فضائل الصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لا تُحصى ولا تُعد ، فمنها ما ظهر ، ومنها ما يجل عن العد والحصر ؛ إذ لا يدركُ كنهها ولا عميم بركتها إلا من ذاق ، فمن ذاق عرف ، ومن عرف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ويكفي ملازمها راحة النفس والبال ، وطمأنينة القلب ، وانشراح الصدر ، وتذوق حلاوة الإيمان ؛ حيث يقول نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) : " ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) رَسُولًا"^(٢).

* * *

(١) مسند البزار ٢ / ٢٦٦ ، حديث رقم ١٢٤١ .

(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب من ذاق طعم الإيمان ، حديث رقم (٣٤) .

المبحث السابع
مختارات شعرية في حب وفضائل سيدنا رسول الله
(صلى الله عليه وسلم)

من همزية أحمد شوقي في مديحه (صلى الله عليه وسلم) :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
وَقَمَّ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
وَالْعَرْشُ يُزْهِو وَالْحَظِيرَةُ تُزْدَهِي
وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةَ الْعَصْمَاءُ
بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَرِيَّتْ
وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَ يَكُ الْعَبْرَاءُ
وَبَدَا مُحْيَاكَ الَّذِي قَسَمَائُهُ
حَقٌّ وَغُرَّتُهُ هُدَى وَحَيَاءُ

وَعَلَيْهِ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ رَوَّنَقٌ
وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهَدِيهِ سِيْمَاءُ
أَثْنَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ
وَتَهَلَّلَتِ وَاهْتَزَّتِ الْعَذْرَاءُ
يَوْمَ يَتِيهِ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ
وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ

وفيها ويقول:

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى
وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ
وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا
لَا يَسْتَهِينُ يُعْفَوكَ الْجُهْلَاءُ
وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ
هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ
فِي الْحَقِّ لَا ضِغْنٌ وَلَا بَغْضَاءٌ
وَإِذَا رَضِيتَ فِذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ
وَرِضَى الْكَثِيرِ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءٌ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هَزَّةٌ
تَعْرُو النَّدَى وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءٌ
وَإِذَا قَضَيْتَ فَلَا إِرْتِيَابَ كَأَنَّمَا
جَاءَ الْخُصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قِضَاءٌ
وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُوْرِدْ وَلَوْ
أَنَّ الْقِيَاصِرَ وَالْمُلُوكَ ظِمَاءٌ
وَإِذَا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ لَمْ
يَدْخُلْ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ عَدَاءٌ
وَإِذَا مَلَكَتِ النَّفْسَ قُمْتَ بِرِّهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ

وَإِذَا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجٍ عَشْرَةً
وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدَوْنُكَ الْآبَاءُ
وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا
فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ
وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلْسَفِيهِ مُدَارِيًا
حَتَّى يَضِيقَ بِعَرَضِكَ السُّفَهَاءُ
فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ
وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
يَا أَيُّهَا الْأُمِّيُّ، حَسْبُكَ رَتْبَةٌ
فِي الْعِلْمِ أَنْ دَانَتْ بِكَ الْعِلْمَاءُ
أَمَّا حَدِيثُكَ فِي الْعُقُولِ فَمَشْرَعُ
وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمِ الْغَوَالِي الْمَاءُ

* * *

من قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي :

لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ
يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَنِمِ
فَكُلُّهُ فَضْلٌ وَإِحْسَانٌ وَعَارِفَةٌ
مَا يَبِينُ مُسْتَلِمٍ مِنْهُ وَمُلْتَزِمِ
عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعَزُّ بِهِ
فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللُّحْمِ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ
وَبُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةٌ
مَتَى الْوُرُودُ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي

وفيها ويقول:

لَمَّا رَأَاهُ بَحِيرًا قَالَ نَعْرِفُهُ
بِمَا حَفِظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسِّيَمِ

سائلُ حِرَاءَ وَرُوحَ الْقُدْسِ هَلْ عَلِمَا
مَصُونٍ سِرًّا عَنِ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتِمِ
كَمْ جِيئَةً وَذَهَابٍ شُرِّفَتْ بِهِمَا
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْعَسَمِ
وَوَحْشَةَ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَهُمَا
أَشْهَى مِنَ الْأَنْسِ بِالْأَحْسَابِ وَالْحَشَمِ
يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْلَ مَهِيْطِهِ
وَمَنْ يُبَشِّرُ بِسِمَى الْخَيْرِ يَتَّسِمِ
لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمًا
فَاضَتْ يَدَاؤُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّمِ
وَوَلَّلَتْهُ فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ
غَمَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيْمِ
مَحَبَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ أُشْرِبَهَا
قَعَائِدُ الدَّيْرِ وَالرُّهْبَانُ فِي الْقَمَمِ
إِنَّ الشَّمَائِلَ إِنْ رَقَّتْ يَكَادُ بِهَا
يُغْرَى الْمَادُ وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ

وَنُودِيَ إِقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ
هُنَاكَ أذُنٌ لِلرَّحْمَنِ فَاِمْتَلَأَتْ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّعَمِ
فَلَا تَسَلْ عَن قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتْهَا
وَكَيفَ نُفِرَتْهَا فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ
تَسَاءَلُوا عَن عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَّ بِهِمْ
رَمَى الْمَشَايخَ وَالْوِلْدَانَ بِاللَّمَمِ
يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَسُنْتِهِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ
لَقَبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صِعْرِ
وَمَا الْأَمِينَ عَلَى قَوْلِ بُمْتَهُمْ
يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً
حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ
حَلَيْتَ مِنْ عَظَلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ
فِي كُلِّ مُنْتَشِرٍ فِي حُسْنِ مُنْتَظَمِ

بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهَمَمِ

ويقول:

سَرَّتْ بِشَائِرُ بِالْهَادِي وَمَوْلِدِهِ
فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلْمِ
تَخَطَّفَتْ مُهَجَّ الطَّاغِينَ مِنْ عَرَبٍ
وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عُجْمِ
رَبَعَتْ لَهَا شَرَفُ الْإِيوَانِ فَاِنْصَدَعَتْ
مِنْ صَدْمَةِ الْحَقِّ لَا مِنْ صَدْمَةِ الْقُدْمِ
أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ
إِلَّا عَلَى صَنْمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنْمِ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةٌ
لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمِ
وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ
كَاللَيْثِ بِالْبَهْمِ أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ التَّفَوُّوا بِسَيِّدِهِمْ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالجُنْدِ بِالْعَلَمِ
صَلَّى وَرَاعَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَفْزِ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمُّ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةٍ اللَّجْمِ
رَكُوبَةً لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا فِي الْأَيْتِقِ الرُّسْمِ
مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعَتُهُ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ
وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتِهِ
وَبِأَمْرِ مُحَمَّدٍ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ

خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عُلُومَهُمَا
يَا قَارِيَّ اللُّوحِ بَلْ يَا لِمَسِّ القَلَمِ
أَحَطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ وَانكَشَفْتَ
لَكَ الخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمِ
سَلَّ عُصْبَةَ الشَّرِكِ حَوْلَ الغَارِ سَائِمَةً
لَوْلَا مُطَارَدَةُ المُخْتَارِ لَمْ تُسَمِّ
هَلْ أَبْصَرُوا الأَثَرَ الوَضَاءَ أَمْ سَمِعُوا
هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالقُرْآنِ مِنْ أُمَّمٍ
وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ العَنكَبُوتِ لَهُمْ
كَالغَابِ وَالحَائِمَاتُ وَالزُّغْبُ كَالرُّخَمِ
فَأَدَبَرُوا وَوُجُوهُهُ الأَرْضِ تَلَعُّهُمْ
كَبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الحَقِّ مِنْهُزِمِ
لَوْلَا يَدُ اللّهِ بِالجَارِينَ مَا سَلِمَا
وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقْمِ
تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللّهِ وَاسْتَتَرَا
وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحُ اللّهِ لَا يُضْمِ

يا أحمَدَ الخَيرِ لي جَاهُ بِتَسْمِيَّتِي
وَكَيْفَ لَا يَتَّسَمَى بِالرَّسُولِ سَمِي
المَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الهَوَى تَبَعُ
لِصَاحِبِ البُرْدَةِ الفِيحَاءِ ذِي القَدَمِ
مَدِيحُنَا فِيكَ حُبُّ خَالِصٌ وَهَوَى
وَصَادِقُ الحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الكَلِمِ
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ
مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ العَارِضِ العَرِمِ

ويقول:

البَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ
شُمُّ الجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انخَفَضَتْ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسِمِ
وَاللَيْثُ دُونَكَ بَأْسًا عِنْدَ وَثْبَتِهِ
إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السِّلَاحِ كَمِي

ذُكِرَتْ بِالْيَتِيمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً
وَقِيمَةً اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيَتِيمِ
اللَّهُ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمْ
وَأَنْتَ خَيْرْتَ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسَمِ
إِنْ قُلْتَ فِي الْأَمْرِ لَا أَوْ قُلْتَ فِيهِ نَعَمْ
فَخَيْرَةُ اللَّهِ فِي لَا مِنْكَ أَوْ نَعَمْ

أَخَوَكَ عَيْسَى دَعَا مَيْتًا فَقَامَ لَهُ
وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا مِنَ الرَّمَمِ
قَالُوا غَزَوْتَ وَرُسُلُ اللَّهِ مَا بُعِثُوا
لِقَتْلِ نَفْسٍ وَلَا جَاؤُوا لِسَفْكِ دَمٍ

ويقول :

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا
وَاسْتَيْقَظَتْ أُمَّمٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ
سَعْدٌ وَنَحْسٌ وَمَلِكٌ أَنْتَ مَا لِكُهُ
تُدِيلُ مِنْ نَعَمٍ فِيهِ وَمِنْ نَعَمٍ

رَأَى قَضَاؤُكَ فِينَا رَأَى حِكْمَتِهِ
أَكْرِمَ بَوَاجِهِكَ مِنْ قَاضٍ وَمُنْتَقِمٍ
فَالطُّفَ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا
وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تُسِمِ
يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَإِمْنَحْ حُسْنَ مُخْتَمِّمِ

* * *

من قصيدة سلوا قلبي لأحمد شوقي :

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وَعَمَّتْ
بَشَائِرُهُ الْبَوَادِي وَالْقِصَابَا
وَأَسَدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهَبِ
يَدًا بِيضَاءَ طَوَّقَتِ الرِّقَابَا
لَقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَاجًا مُنِيرًا
كَمَا تَلِدُ السَّمَاوَاتُ الشِّهَابَا
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نَوْرًا
يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنِّقَابَا

وَضَاعَتْ يَثْرِبُ الْفَيْحَاءُ مِسْكَاً
وَفَاحَ الْقَاعِ أَرْجَاءً وَطَابَا
أَبَا الزَّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي
بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِيَّ انْتِسَابَا
فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ
إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَزِدْتُ قَدْرًا
فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدَتْ السَّحَابَا
سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي
فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ
إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
كَأَنَّ النُّحْسَ حِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ
أَطَارَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ غُرَابَا
وَلَوْ حَفَظُوا سَبِيلَكَ كَانَ نُورًا
وَكَانَ مِنَ النُّحُوسِ لَهُمْ حِجَابَا

بَيَّتَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ رُكْنًا
فَخَانُوا الرُّكْنَ فَانْهَدَمَ اضْطِرَابًا
وَكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهِيبًا
وَلِلْأَخْلَاقِ أَجْدَرُ أَنْ تُهَابًا
فَلَوْلَاهَا لَسَاوَى اللَّيْثُ ذُبَابًا
وَسَاوَى الصَّارِمُ الْمَاضِيَ قِرَابًا
فَإِنْ قُرْنَتْ مَكَارِمُهَا بِعِلْمٍ
تَدَلَّتِ الْعُلَا بِهَمَا صِعَابًا

* * *

وَمِنْ قَصِيدَةِ الْبُرْدَةِ لِلْإِمَامِ الْبُوصَيْرِيِّ:
مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْكُونِينَ وَالثَّقَلَيْنِ
وَالْفَرِيقَيْنِ مِنَ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
أَبْرُفِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمٍ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مَنْفَعِهِمْ
فَاقَ الْبَيِّنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدْأِئُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصَوْرَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ السَّمِ
مُنَزَّهُ عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مَنْقَسِمٍ
دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكُمِ
وَإِنْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَإِنْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ

وفيها يقول :

فإن فضل رسول الله ليس له
حدٌ فيعرب عنه ناطقٌ يفهم
لو ناسبت قدره آياته عظاما
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرّمم
لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

وفيها يقول :

أكرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم
لا طيب يعدل ثوبا ضم أعظمه
طوبى لمنثشق منه وملثم

وفيها يقول :

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدا منه ومختتم

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَتَّهُمْ
قَدْ أَنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِعِ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمِي
كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلِ
حُرْنَا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ
وَالجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
جَاءَتْ لِذَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِالْقَدَمِ
كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

مثل الغمامة أئى سار سائرةً
تقيه حرّ وطيسٍ للهجيرِ حمي
وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كرمٍ
وكلُّ طرفٍ من الكفارِ عنه عمي
فالصدقُ في الغارِ والصديقُ لم يرَما
وهُم يقولون ما بالغارِ من أرمٍ
ظنوا الحمامَ وظنوا العنكبوتَ على
خيرِ البريّةِ لم تنسجْ ولم تحمِ
وقايةُ اللهِ أغنتْ عن مضاعفةِ
من الدروعِ وعن عالٍ من الأطمِ
ما سامني الدهرُ ضيماً واستجرتُ بهِ
إلا ونلتُ جواراً منه لم يضمِ
ولا التمتُ غنى الدارينِ من يدهِ
إلا استلّمتُ الندى من خيرٍ مُستلمِ
لا تُنكرِ الوحيَ من رؤياهُ إنَّ لهُ
قلبا إذا نامتِ العينانِ لم ينمِ

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ

وفيها يقول :

يا خَيْرَ مَنْ يَمِّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتُقِ الرَّسْمِ
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمْتِكِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم
خففت كل مقام بإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا
من العناية ركنًا غير منهدم
لما دعى الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وفيها يقول :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليثم
خدمته بمدح أستقيل به
ذنوب عمر مضي في الشعر والخدم
فيا خسارة نفس في تجارتها
لم تشتري الدين بالدنيا ولم تسم

وَمَنْ يَبِعْ أَجْلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي
مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لَخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمٍ
وَلَنْ يَفُوتَ الْغَيْىَ مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ
إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكَمِ

ويقول :

يَا نَفْسُ لَا تَقْطِئِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْعُفْرَانِ كَاللَّمَمِ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسْبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ
وَالطُّفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْرًا مَتَّى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ
وَأَذْنَ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ
ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرَ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عَثْمَانَ ذِي الْكَرَمِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ
أَهْلُ الثَّقَى وَالثَّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا
واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

* * *

ويقول ابن الخياط :

كُلُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْحَبِيبِ تَمِيلُ
وَمَعِيَ يَهْذَا شَاهِدٌ وَدَلِيلُ

أَمَّا الدَّلِيلُ، إِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا
فَتَرَى دُمُوعَ الْعَارِفِينَ تَسِيلُ
هَذَا مَقَالِي فِيكَ يَا شَرَفَ الْوَرَى
وَمَدْحِي فِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَلِيلُ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ هَذَا الْمُصْطَفَى
هَذَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَسُولُ
يَا سَيِّدَ الْكَوْنِينَ يَا عِلْمَ الْهُدَى
هَذَا الْمُتَمِّمُ فِي حِمَاكَ نَزِيلُ
هَذَا النَّبِيُّ الْهَاشِمِيُّ مُحَمَّدُ
هَذَا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ رَسُولُ
هَذَا الَّذِي رَدَّ الْعُيُونَ بِكَفِّهِ
لَمَّا بَدَتْ فَوْقَ الْخُدُودِ تَسِيلُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عِلْمَ الْهُدَى
مَا لَاحَ بَدْرٌ فِي السَّمَاءِ دَلِيلُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عِلْمَ الْهُدَى
مَا حَنَّ مُشْتَاقٌ وَسَارَ جَمِيلُ

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ نَبْرَاسَ الْهُدَى
هَذَا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ رَسُولُ

* * *

ويقول الإمام الشافعي :

خير النبيين لم يذكر على شفة
إلا وصلت عليه العجم والعربُ
خير النبيين لم يقرن به أحدُ
وهكذا الشمس لم تقرن بها الشهبُ
خير النبيين لم تحصر فضائله
مهما تصدّت لها الأسفار والكتبُ
الماءُ فاضَ زلالاً من أصابعه
أروى الجيوش وجوف الجيش يلتهبُ
والظبي أقبل بالشكوى يخاطبه
والصخر قد صار منه الماء ينسكبُ
واهتزت الأرض إجلالاً لمولده
شبيهة بعروس هزّها الطربُ

نبوة ما أتاها باطلٌ أبداً
ولا تملكها في حالة كذب
نبوة كلها بالصدق ناطقة
بالعدل قائمة ، آياتها عجب

* * *

ويقول سيدنا كعب بن زهير :
وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آملُهُ
لا أُلْفِيَّكَ إني عنك مشغولُ
فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبا لكمُ
فكلُّ ما قدرَ الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابنٍ أنثى وإن طالَت سلامتهُ
يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ
أنبتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعَدني
والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَيَّبٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ

* * *

ويقول سيدنا حسان بن ثابت:
أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوءَةِ خَاتَمٌ
مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنِ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ
فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ
مِنَ الرِّسْلِ، وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تَعْبُدُ
فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا
يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَيَّبُ
وَأَنْذَرْنَا نَارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً
وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ، فَاللَّهُ نَحْمَدُ

وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي
بِذَلِكَ مَا عَمَرْتُ فِيهَا لِنَاسٍ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنِ قَوْلِ مَنْ دَعَا
سِوَاكَ إِلَهًا ، أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنِّعْمَاءُ ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ
فِيَاكَ نَسْتَهْدِي ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
* * *

ويقول في قصيدة أخرى

محمد المبعوث للناس رحمة
يشيد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبحت صم الجبال مجيبة
لداوود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصم لانت بكفه
وإن الحصى في كفه ليسبح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا
فمن كفه قد أصبح الماء يطفح

وإن كانت الريح الرخاء مطيعة
سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا
ورعب على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملك العظيم وسخرت
له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها
أتته فرد الزاهد المترجح
وإن كان إبراهيم أعطي خلة
وموسى بتكليم على الطور يمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلم
وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض الرواء وباللوا
ويشفع للعاصين والنار تلفح
وبالمقعد الأعلى المقرب ناله
عطاء لعينيه أقر وأفرح

وبالرتبة العليا الوسيلة دونها
مراتب أرباب المواهب تلمح
ولهو إلى الجنان أول داخل
له بابها قبل الخلائق يفتح

ويقول :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير، وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمنحي الآيات من دار حرمة
يها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات، وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد
يها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء، ويوقد
معالم لم تطمس على العهد أيها
أناها البلى، فالأي منها تجدد

فبوركتَ يا قبرَ الرسولِ ، وبوركتُ
بلادُ ثوى فيها الرشيدُ المسدُدُ
أقولُ، ولا يلقى لقوليَ عائبُ
منَ الناسِ، إلا عازبُ العقلِ مبعُدُ
وليسَ هوائيَ نازعا عنِ ثنائهِ
لعلي بهِ في جنةِ الخلدِ أخلدُ
معَ المصطفى أرجو بذاكَ جوارهُ
وفي نيلِ ذاكِ اليومِ أسعى وأجهدُ

* * *

ويقول أحدهم في مديحه (صلى الله عليه وسلم) :
والله ما حملتُ أنثى ولا وضعتُ
أبرراً وأوفى ذمةً من محمد
وما في بقاعِ الأرضِ حياً وميتاً
ولا بين أرضِ والسما كمحمد

ويقول الآخر:

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْرًا وَتَيْهًا

وَكِدْتُ بِأَحْمَصِي أَطَا الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي

وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
٥	مقدمة .	.١
١١	المبحث الأول : حديث القرآن عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) .	.٢
٢٣	المبحث الثاني : حجة السنة المشرفة ومكانتها في التشريع .	.٣
٤٥	المبحث الثالث : رسول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم) .	.٤
٥٧	المبحث الرابع : حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جزء لا يتجزأ من الإيمان .	.٥
٦٥	المبحث الخامس : التأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .	.٦
٧٢	المبحث السادس : الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .	.٧

٧٨	المبحث السابع : مختارات شعرية في حب وفضائل سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	.٨
١١٠	فهرس الموضوعات .	.٩

* * *

